حركية الزمن في شعر لسان الدين بن الخطيب وموشحاته

الباحثة: إسراء علي حسين

أ. د. علي مطشر نعيمه

جامعة البصرة ــ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة ــ قسم اللغة العربيَّة

ملخص البحث:

يرصد هذا البحث حركة الزمن عند أحد شعراء عصر بني الأحمر في الأندلس هو الشاعر لسان الدين بن الخطيب، فقد كان للزمن حضور وأهمية في شعر ابن الخطيب لذلك كان الشاعر راصداً باستمرار لحركة الزمن السريعة والبطيئة والمنتظمة وقد كان هذا الرصد لحركة الزمن في شعر الشاعر توثيقاً لمواقف صادقة عاشها الشاعر في حياته مع محيطه الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الزمن، حركة، لسان الدين بن الخطيب، موشحات .

The Movement of Time in the Poetry of Lisan al-Din ibn al-Khatib and His Muwashahat(Stanzas)

Researcher: Esra'a Ali Hussain

Prof. Dr. Ali Mutasher Naiema

Dept. of Arabic Language, College of Education for Human Sciences, University of Basrah

Abstract:

This research monitors the movement of time according to one of the poets of the Banu al-Ahmar era in Andalusia, the poet Lisan al-Din Ibn al-Khatib. Time had a presence and importance in Ibn Al-Khatib's poetry. Therefore, the poet was constantly observing the fast, slow, and regular movement of time. This monitoring of the movement of time in the poet's poetry was a documentation of the honest. positions that the poet lived in his life with his social environment .

Key words: Time, movement, Lisan al-Din ibn al-Khatib, Muwashahat .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

المقدمة:

يتناول هذا البحث حركة الزمن في شعر لسان الدين بن الخطيب وموشحاته في محاولة لتتبّع حركة الزمن وتأثيرها في حياة ابن الخطيب ومشاعره وأحاسيسه.

وقد توزعت مادة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وقف المبحث الأول عند الحركة السريعة للزمن، ورصد المبحث الثاني الحركة البطيئة للزمن، وتناول المبحث الثالث الحركة المنتظمة للزمن.

وقد خرج البحث بمجموعة من النتائج أوجزناها في الخاتمة، واعتمدت الدراسة على مجموعة من الدراسات السابقة ضمتها قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول: الحركة السريعة للزمن

هو الزمن الذي تتسارع أحداثه والمرتبط بالجانب النفسي والشعوري للإنسان، وبالتجربة الشعرية والشعورية للشاعر من جهة أخرى. تحدده وحدات زمنية كالدقائق والساعات والأيام. فهو ملتصق بالحياة اليومية التي نعيشها سواء في الماضي البعيد أم الحاضر القريب، فنشعر بانقضاء ساعات الزمن عندما نحس بتجمع الضغوط الحياتية أو القيام بالأعمال الثابتة المألوفة التي تتكرر كل يوم. كالمهام الروتينية والأعمال المنزلية أو الوظيفية التي تستغرق ساعات فلا يشعر الإنسان إلا وانتهى وقتها. فكل ذلك مرتبط بالشعور النفسي. ولوعدنا إلى حقيقة هذا الزمن للاحظنا أَنَّ الزمن بساعاته ودقائقه وأيامه واحد لم يتغير، لكن وراء إحساس الإنسان بسرعة مرور الزمن فكرة خفية [١]. تتمثل بالشعور" بوجود واقع ما لازمني يمر فيه الزمن"[٢]. فضيق الزمن لم يشعر به جميع الأفراد فثمة اختلاف بذلك الإحساس، والسبب راجع إلى اختلاف ما يقوم وما يفكر به كل فرد. فهذا التفسير يوضح أَنّنا أمام زمن واحد ساعته تقرع النفس الإنسانية وإحساسها. فالأمور الإيجابية التي تحصل للأفراد في حياتهم كالشعور مثلا بأوقات الفرح والبهجة هي ما تنطبق على سرعة الزمن [٣]. فإذا " كنتُ فرحا مسرورا فأنني أنسى الزمن"[٤].

ومن شواهد الزمن السريع قول ابن الخطيب [٥]: (الطويل)

وَتَمْضِي اللَّيَالي والتزاورُ مُعْوِزٌ عَلَى الرغْمِ مِنَّا، إنّ ذا لَغَرِيبُ

فَدَيْتُكَ عَجِّلْهَا العَشِيَّ زِيَارةً ولَو مِثلَ مَا رَدَّ اللّحاظَ مُرِيبُ

وإنَّ لِقاءً جَلَّ عَنْ ضَرْبِ مَوْعِدٍ لأكرمُ مَا يُهدي الأرِيبَ أريبُ

يستذكر الشاعر ليالي الأُنس، موظفاً جملة (وتمضي الليالي) وجاء اختيار الشاعر لمفردة (الليالي) بصيغة الجمع لارتباطها بنفسية الشاعر لتؤكد سرعة الزمن وانسيابيته، فهي ليالي فرحٍ سرعان ما أحس بانقضاء ساعاتها لأنها ليالي جميلة تربطه بلقائه بالأحبة. وأمام سرعة انتهاء زمن الوصال يعرض الشاعر أُمنيته السريعة في تجدّد اللقاء عبر توظيف فعل الأمر المستقبل (عجّلها) لتحقيق حالة من التوازن العاطفي بين الماضي والمستقبل

ويبدو التحسّر على سرعة انقضاء زمان الوصل واضحاً وجلياً في قول ابن الخطيب [٦]: (الطويل)

لَسُرْعانَ مَا كانتْ مَناسِف للِصَّبا ... فقَدْ ضَحَكتْ زَهْراً، وَقَدْ خَجِلَتْ وَرْداً

بِلادٌ عَهِدنا في قراراتِها الصّبا ... يَقِلُّ لِذاكَ العَهدِ أَنْ يألفَ العَهدا

إذا مَا النَسيمُ أعْتَلّ فَي عَرصاتِها ... تَناولَ فِيها البَانَ والشّيحَ والرَّنْدَا

بدأ بصيغة اسم الفعل الماضي (لسرعان) لتوضح الزمن السريع بصورة مباشرة، موظفا الصيغة بشكل مباشر للدلالة القوية على مرور زمن الصبا سريعاً. إنّ زمن أيام الذكريات بنسيمه وعهده بسط وجهه وسرَّ فرحاً لكنه سرعان ما انتهى كأنّه ما كان.

ويسترجع ابن الخطيب ذكرياته في زمن الصبا، التي مرّت سريعاً كالحلم، فيقول [٧]: (الطويل)

وَقُلتُ وَقَدْ آنَستُ بَارِقَةَ الهَوَى ... عُهُودَ الصّبَا يَا مَا أَلذَّ وَمَا أَحْلَى

إذِ العَيشُ غَضٌ والشبيبةُ روضةٌ ... أزَاهِرُها تُجنَى وَأنوارُها تُجْلى

عُهودٌ مُنىً ألوى بِجدَّتِها المَدَى ... وَقَلَّصَ مِنْ إيناسِها ذَلكَ الظّلا

ومَا كانَ إلا كالخيالِ لِنائمٍ ... ألمَّ، ويا سُرعانَ مَا قَوَّضَ الرَّحْلا

يتحدث الشاعر عن زمن النعيم المرتبط بمفردة الصبا فكان يتمتع بلذة وحياة مريحة راغدة حتى الأزهار والرياض منغمسة في ذلك النعيم فهو زمن أَمنيات وملذات لكن سرعان ما أحس بانقضاء ذلك الزمان. فإحساس شاعرنا كإحساس أي إنسان يشعر بسرعة رحيل أيام السرور والنعيم وانقضت تلك الساعات الجميلة فمرَّ عهد الصبا كسرعة الخيال الخاطف في النوم.

ويعرض لنا ابن الخطيب مشهداً من لقاء جمعَهُ بمحبوبته ليلاً تنوّعت فيه سرعة الأحداث، قائلا [٨]: (الطويل)

وقالتْ دُموعي واشْتَياقي وَزَفرتي ... شُهودٌ علَى مَا مِنْ غَرامِكَ أَدَّعي

فَإن غِبتَ غَابَ الأَنْسُ عَنّي بأسْرِهِ ... وَمَاليَ مِنْ عَيْشٍ إِذا لَمْ تَكُنْ مَعي

وَلَمّا سَرَتْ، واللَّيلُ قَدْ مَالَ وانقضَى ... وَأَعْجلَها ضَوءُ الصبَاحِ المُلمَّعِ

وَلَمْ تسْتَطع رَدَّ السلامِ مَخافةً ... أَشَارتْ بِطرفٍ ثُمَّ أومت بأصبعِ

كان زمن اللقاء بين الشاعر ومحبوبته قصيراً لكن الشاعر يُعبّر عن زمن آخر أقصر من زمن الوصال. موضحاً في البيت الثالث إحساسه بسرعة الزمن بتوظيف جملة (أعجلها) للتعبير عن سرعة الزمن المباشر ذاكراً الليل والصباح متخذاً سرعة انكشاف ضوء الصباح معمقاً ذلك الأثر في نفسه في لقاء المحبوبة في وقت الليل متخذاً الليل زمناً للقاء والفرح لكنَّ سرعة مجيء الصباح حطّمت ذلك اللقاء مع المحبوبة فتحول الزمن من الليل إلى الصباح لم يكن إلا تعبير عن انتهاء ساعات البهجة وانشراح النفس بانكشاف الصباح، وما أنْ جاء الصبح مسرعاً لم تستطع التوديع ورد السلام فأشارت بطرفها لسرعة مجيء الصباح فالشاعر في حالة قلقة مضطربة جعل الزمن في تدرج فقد مرَّ سريعاً في ليل الوصال وازدادت سرعته في لحظة الوداع صباحاً ليكون أكثرَّ سرعة في قوله (أشارتْ بطرفٍ) و(أومتْ بأصبعِ).

ويسجل ابن الخطيب في بيت جميل من إحدى موشحاته الجميلة مُعَدَّلاً عالياً لسرعة الزمن الماضي حين يقول (٩):

فَيْ ليالٍ كَتمتْ سِرَّ الهَوى بالدُّجى لَولا شُموُسُ الغُررِ

مال نجم الكأس فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر

وَطرٌ مَا فِيهِ مِنْ عَيبٍ سِوى أنَّهُ مَرَّ كَلَمح البَصَرِ

حَيْنَ لَذَّ الأُنسُ مَع حُلوِ اللَّمى هَجَمَ الصُّبح هُجُومَ الحَرَسِ

غارت الشهب بنا او ربما اثرت فيها عيون النرجس

دلالة الزمن السريع واضحة جلية جاءت بتعبير مباشر دلَّ عليها قوله (كلمح البصر) فالغاية التي يريد تحقيقها الشاعر هي الوصل بالأحبة في الزمن الماضي فهو وصل حافلُ بالغِبطة والفرح لكنّ إحساسَهُ بأوقات الوصل وساعات ليالي الأُنس لم تدم طويلاً فسرعان ما مرت خاطفة كسرعة لمح البصر. ووظّف ابن الخطيب عبارة (هَجَمَ الصبح) ليوحي بسرعة زمن انقضاء الوصل بما تحمله لفظة (هجم) من معاني السرعة والاندفاع والمباغتة.

ويحمل مطلع من موشحة لابن الخطيب دعوة سريعة إلى الليل لكي ينجلي، جاء فيه قوله (١٠):

قَدْ حَرَّكَ الجُلجُلَ بَازِي الصَّبَاحْ والفَجْرَ لَاحْ

فَيَا غُرَابَ اللَّيْلِ حُثَّ الجَنَاحْ

مثّل فعل الأمر (حُثَّ) مضمون الدعوة السريعة لانجلاء الليل بعدما أوشك النهار على الظهور بدلالة الألفاظ (البازي، والصباح، والفجر).

وفي نص آخر لابن الخطيب يدعو إلى تسريع زمن الوصال قائلاً (١١): (الطويل)

هَلُمَّ فَجِفنُ الدَّهْرِ قَدْ لَاذَ بالغَمْضِ وَأمكنَ مَيدانُ التَّصابي مِن الركْضِ

إلى مَجلسِ حَيى مَقاصيرهُ الحَيا وَرَاحَ بِهِ الرَّيْحانُ في الطُّول والعَرضِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

يتضمن النص دعوةً إلى تسريع الزمن عبرَ لفظة (هَلُمَّ)، والمفردات التي تشير إلى السرعة (لاذــ ميدان ــ الركض ــ الطول والعرض ــ أسرعت)، فالشاعر يفتتح أبياته باسم فعل الأمر هلم إشارة إلى أمر إخفاء قوة الدهر عندما أغمض جفنه فهو يدعو إلى اغتنام فرصة إطباق جفن الدهر عنهم في زمن الصبا. ثم يذكر في البيت الثاني مجلس أُنس وكيف كانت نواحيه واسعة فيه من المتعة والحياة والخصب ونبات الريحان طيب الرائحة منتشر في الطول والعرض.

ويجسّد الزمن السريع في أَبيات لأبن الخطيب سرعة الحصول على نجدة الممدوح في قولهِ [١٢]: (الطويل)

فإنْ قِيلَ، مَالٌ، مالُكَ، الدَّهْر وَافِرٌ ... وإنْ قِيلَ جَيشٌ عِندكَ العسْكرُ المجْرَ

يُكَفُّ بِكَ العَادي وَيُحْيَ بِكَ الهُدى ... وَيبني بكَ الإِسْلامُ مَا هَدّمَ الكُفرُ

أعِدْهُ إِلَى أَوْطَانِهِ عَنْكَ رَاضِياً ... وَطَوّقْهُ نُعْمَاكَ التِي نَالَهَا حَصْرُ

وعَاجِلْ قُلوبَ النَّاسِ فيهِ بِجَبْرِهَا ... فَقَدْ صَدَّهمْ عَنْهُ التَّغلبُ والقَهْرُ

وَهُمْ يرقبونَ الفِعلَ مِنكَ وَصَفقةٌ ... تُحاولُها يُمناكَ، مَا بَعْدها خُسرُ

فعل الأمر (عاجل) يحمل معنى الزمن السريع، زمن الممدوح الذي بيده زمام أمور الدهر مالكا فيه العدة والعدد، قوة زمن الممدوح التي تقف أمام الدهر هي التي تضمن السلامة لكل مَنْ يستنجد به.

ويأتي في الإطار ذاته قوله مُستنجداً بالممدوح [١٣]: (الطويل)

وَلا تُبْعِدِ الأمرَ البَعيدَ وَقُوعُهُ ... فإن اللَّيالي أُمّهاتُ العَجَائبِ

...

وَبَادرْ عَدوَّ اللهِ عِنْدَ اضْطِرابِهِ ... وَعَاجِلْهُ بالبيضِ الرَّقاق القَواضِبِ

إذا قيْلَ: أرضُ اللهِ إرثُ عِبادِهِ ... بمُوجبِ تَقْوَى أنتَ أقْرَبُ عَاصِبِ

أَلستَ مِنْ القَومِ الذينَ إذا انْتَموا ... نَمَتهُمْ إلى الأنْصارِ غُرٌّ المَناسبِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

يعبّر الشاعر عن الزمن بدلالة السرعة القريبة المتعلقة بالممدوح ذاكرا لفظة (عاجِله)، مشيراً إلى شجاعة الممدوح وعظمته في تقريب كل أمر بعيد معجز موظفا زمن الليالي في إنجازه للمهمات الحاسمة. تتسارع قوته بكل عزيمة وإصرار لقتال العدو ومبارزته بالسيوف ليؤيد طريق الحق ونصرة أَرض المسلمين.

وفي معرض وصفه للخيل يُسجّل ابن الخطيب مُعَدَّلاً لسرعة الخيول قائلاً [١٤]: (الطويل)

وَمِنْ أَشقرٍ كَالبرق يسْتبقُ الصَّبا ومِنْ أَشْهبٍ يَفري أديمَ الدُّجَى فَرْيا

وَمِنْ أَحمرٍ تَحْتَ العَجاجِ كأنَّهُ سَنَا شَفَقٍ يَلْتاحُ في اللَّيلةِ الدَّجْيَا

في النص دلالة تكشف عن السرعة مرتبطة بحركة الخيل عن طريق الفعل المضارع (يستبق)، موظفا الفعل المضارع للدلالة على استمرارية سرعة الخيل التي تسبق سرعة الريح. الشاعر يُقابل سرعة الخيل بلمحة ضياء البرق، وبضوء الشفق المرتفع في الليلة الظلماء. وبما أَنَّ الليل زمن ساعاته محددة من اليوم قَرَنَ الشاعرُ سرعة الخيل الحَمْر بسرعة ضوء الشفق المعبّر عن قصر ساعات الليل في هذا التوقيت.

المبحث الثاني: الحركة البطيئة للزمن

يُعْرف بزمن ثقل حركة عقارب الساعات المتحركة [١٥]. وهذا الزمن مرتبط بالإحساس والشعور النفسي للفرد. فزمن الحياة واحد وثابت في نظامه وحركة ساعاته، لكن الفرق الحاصل هو التفكير النفسي لكل فرد. أو ما يُسمَّى بزمن التوقّع، والتأمل المرتبط بالحالة النفسية [١٦].

شعور الفرد بهذا الزمن متصل بأحداث قد تكون نفسية تتعلق بزمن الانتظار والإحساس بالمرض والشكوى من أَمر أثقل كاهله، أو متعلق بأحداث طبيعية مرتبطة بزمن الساعة أو الإلمام بأوقات الليل والنهار، ومن شواهد ذلك قول ابن الخطيب يشكو طولَ ليلتِهِ [١٧]: (الرمل)

عَبَسَ اللَّيلُ فَلا صُبْحٌ يُرَى وَهَوى النَّجمُ وَغَاب الفرقدُ

وَضَحِكْنا وَجَلَبنا طُرَفاً أفلا يَضْحَكُ هَذا الأَسْوَدُ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

شدة شعور ابن الخطيب بساعات الليل وأوقاته وإحساسه بثقله وبطئه عبَّرتْ عنهما الجملتان (عبس الليل، وأفلا يضحك هذا الأسود) لقد انقضت ساعات الليل الأولى بالضحك وتبادل أحاديث السمر مع الأصدقاء ومعلوم أنَّ وقت الليل وساعاته من أجمل أوقات السمر عند الأحبة، ثم يشير إلى تعبير الفرح في ذلك اللقاء. وبعد انتهاء لذة الاستمتاع والضحك. يوظف عبارة أَفلا يضحك هذا الأسود وهي التي حملت الدلالة النفسية والزمنية التي وضحت قلق نفسه وبطء ساعات الليل المتوقف التي أصابها الكساد فأثقلت نفسيته بانتظار مجيء اطمئنان نفسه بنور الصباح. ويمكن لنا ان نتحسّس بطء زمن تلك الليلة حين نستحضر في أذهاننا أصوات الضحك وأجواء الأُلفة والمحبة بين الأصدقاء التي ابتدأت بها الليلة، ويبدو أَنَّ الشاعر بعد انقضاء مجلس السمر مع أصدقائه انفرد بنفسه فانهالت عليه الذكريات والهواجس وأشتد " به الوجد والحنين إلى من يحب" [١٨]. وأصابَه الهم والأرق لذلك أخذ يشعر بثقل ما تبقى من زمن تلك الليلة.

ويقترب في نص آخر من سبب بُطء حركة الليل إذ يقول [١٩]: (الطويل)

أَرْقْتُ فَجُنْحُ اللَّيْلِ قُيِّدَ خَطْوُهُ فَلَهفي عَلَى الجِفْنِ القريحِ المُسَهَّدِ

وَمَا بُلِيَتْ نَفْسُ امرئٍ مُتَطرّفٍ بِأ وحشِ مِن عَبدٍ عَبُوسٍ مُقَيَّدِ

يوظّف ابن الخطيب الليل والإحساس بثقل ساعاته بدلالة الحزن والألم مع معاناة السهاد وقلة النوم فلم يغمض له جفن، فيبدو أَنَّ شكوى الشاعر من ليله وسيلة للبوح عمّا أَتعب نفسيته وأَنَّ أثقل بلاء على نفس المرء عندما يشعر بمعاناة الألم والحزن وحده مع ساعات الليل، فهذا الإحساس ببطء عقارب الساعة حاضر وكأن الليل كان مقيداً. إنَّ الشعور النفسي المؤلم من ثقل الليل واضح في نفس شاعرنا موزع من أول البيتين إلى آخرهما فهو يضفي على الليل صفات الشدة والتقييد والعبوس، ممّا يُعبّر عن ضيق النفس ومعاناتها عند الشاعر.

وبتعبير آخر يؤكد ابن الخطيب ثقل حركة الليل قائلاً [٢٠]: (الكامل)

يَا لَيْلَةٌ سَاهرْتُ طالعَ أفقِها حَتى تَمَايلَ غَارباً أو غَاطِسا

والصَّبحُ مِنْ رِيحِ الشَّمالِ بِزكمةٍ تَركتهُ مِنْ بَعدِ اسْتكانٍ عاطِسا

ففي النص شدة تناسبت مع ما تعانيه نفس الشاعر، إذْ عملت عبارة (ساهرت) على تأكيد بطء ساعات الليل المثقلة بالحزن على نفس ابن الخطيب. موظفاً الليلة متخذاً ساعاتها دلالة نفسية أدت الغرض النفسي الذي يريد التعبير عنه. فالليلة المسندة إلى عبارة ساهرت خارجة من صميم تجربة آلمت نفسه ومنعت عنه الراحة والنوم. ثم يوظف (الصبح) دلالة زمنية يتأمل بها انتهاء سكون ليله بحركة الصبح متشبثاً به ليخرجه مما يعانيه.

ويستثمر ابن الخطيب بُـــطءَ سرعة الليل في بث أَحزانه لأنَّ هناك متسعاً من الوقت للشكوى قائلاً [٢١]: (الطويل)

كَذا البَثُّ لَا يُشْفَى بِلَيتَ، وَعَلَّني ... أُعَالِجُ أَشْجاني إِذا اللَّيلُ جَنَني

وَأَنْهَلني وِرْدَ الدُّموعِ وَعَلَّني ... وَمَا أنل عَنْ حُزني عَليك بمُنثني

فَلَمْ يُلْهِني مَا طَابَ مِنْ عَيشي الهني ... أَقولُ لِمَن يبْغي سُلوّي خلِّني

الشعور ببطء ساعات الزمن ظاهر في أَبياته، عندما يذكر الليل وإشاعة حزنه في وقت الليل فكلمة البث دليل على شدة حزن ابن الخطيب الذي لم يستطع تحمله والتصبر عليه فيبثه لعله يجد في ذلك البث راحة. واختار أنسب وقت لبث ذلك الحزن الثقيل على نفسه متخذاً الليل بثقل ساعته زماناً ملائماً لمعالجة أحزانه، فالشاعر وحده في سهر مع الليل لم تغمض له عين يعاني ذلك الألم والحزن يبث أَشجانه لليل يشكو له مما فعل الفراق به يشعر بساعات الليل ثقيلة لم تتحرك فشعوره هذا نابع من نفسيته الحزينة هو يشعر بها وحده لكن ساعات الزمن تسير في حركة طبيعية.

ويذكر ابن الخطيب سبباً واقعياً لطول إحدى لياليه قائلاً [٢٢]: (الرمل)

عِندَما لَاحتْ بِعَيني بَردهْ ... قَصَدَ الوَقتُ بِها مَا قصَدَهْ

قُلتُ يَا قومُ، حَصَاةٌ قُذِفتْ ... شَرَدَ النَّومُ بِها منْ شَرَدَهْ

حَامَ سِربُ النَّومِ لِلوِرْدِ بِهِ ... ثَمَّ لَما طُرِحَتْ مَا وَرَدَهْ

فالشعور بثقل ساعات الألم يبدو واضحاً عند الشاعر وخاصة عندما يصيب الإنسان ألم أو حزن يشعر الزمن ممتنعاً عن الحركة ساعاته بطيئة إنَّ هذا الإحساس أَمر نفسي يشعر به الفرد عندما يصاب بمرض أو يُرمَى على كاهله حزن يبدو له وكأن كل شيء يمشي ببطء. فزمن الأنا في وضع المرض والتعب يسير ببطء شديد (٢٣).

ويعاني ابن الخطيب من بطء ساعاته المثقلة بالهموم التي حرمت عينه النوم فيقول في بيت من موشحة لَهُ (٢٤):

نَوْمِي عَلَى الأجفانِ قَدْ حَرَّمَا ذِكرُ الحِمَى

وَصَيَّرَ الدَّمْعَ بِعَيْنِي دَمَا عَهْدِ الدّمَا

هَلْ عَائِدُ الأُنْسِ مُنَى بَعْدَمَا قَدْ أَعْدَمَا

أَوْ يُسْعِفُ الدّهرُ بِنَيْلِ اقْتِرَاحْ هَذَا انْتَزَاحْ

أَوْ هَلْ يَلِينُ القَلبُ بَعْدَ الجِمَاحْ

الشاعر في هذا البيت من موشحته يشكو عدم إغماض جفونه فَحُرِمَ النومُ فكأنَّ حرقة الدمع في جفنه تحولت إلى دم يسيل من عينه دلالة على إحساس الشاعر ببطء ساعات زمن ليله، فكلما أراد جفن عينه أَنْ يغمض شَرَدَ النوم منه وحرمت عينه من الراحة، إنَّ اجتماع ذكريات الزمن الجميل حرمت عينه النوم وجعلتها في سهر دائم، فأحس ببطء الزمن بعد أنْ كان الليل هو ملاذ راحة النفس والجسد الآمن فعدم سيره يرجعه إلى حزن نفسه الذي أضفاه على ليلهِ، فعند الليل ووقت النوم تجتمع الأوجاع وتزدحم الذكريات فتبقى العين تتشكى السهر والذات تطرح الألم بصلابة عقارب الساعة وعدم سيرها. فكأن نجوم الليل "مقيدة، ومشدودة إلى الجبال والصخور فلا تستطيع التحرر والانفكاك"(٢٥). فحرقة الشاعر دليل على بطء زمن الشاعر (٢٦).

ومن اللطافة أَنْ يجمع الشاعر بين الزمن السريع والزمن البطيء في أَبياتٍ يقول فيها (٢٧): (المنسرح)

فانتظِرِينِي فَالشَّوقُ يُقلقنُي وَيَقْتَضي سُرعَتِي وإعْجَالي

وَمَهِّدي لِي لَدَيْكِ مُضْطَجَعاً فَعَنْ قَرِيبٍ يَكونُ تَرْحالِي

وَاسمكِ مَقْلوبُهُ يُبيّنُ لِي مَآل أَمري في مَعْرِضِ الفالِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

توظيف مفردة فانتظريني تكشف أَنَّ هناك زمنين يريد الشاعر البوح بهما: زمن السريع، وزمن البطيء. هناك أُمنية في نفس الشاعر يريد بها تحقيق السرعة والإعجال فهو يتمنى أَنْ يسير الزمن بإعجال وسرعة ليلحق بزوجته لكنه في الحقيقة أَمر غير محقق فطلب تسريع الزمن في الواقع موجود تدل عليه مفردتا سرعتي واعجالي لكنها أُمنية مقّيدة فقلق الشوق والزمن اقتضى تلك السرعة غير المتحققة. أَما بطء الزمن فواضح في الانتظار فإحساسه بالزمن ثقيل فهو يتمنى السرعة والإعجال ليلحق بزوجته، ولكن حصول القرب أَمل مقيد بحبال الانتظار، وهذا هو مصدر قلق الشاعر وحيرته.

المبحث الثالث: الحركة المنتظمة للزمن

ما يُعرَف بالزمن الخطّي الذي تسير أحداثه " تبعا لتسلسل زمني تتابعي لا رجعة فيه"[٢٨]. يسلك خطاً مستقيماً مع أَحداث زمنه السائرة باتجاه الأمام من نقطة بداية ينطلق منها ويعمل في كل مرة على خلق شكل لأحداث جديدة بالأحداث نفسها التي سارت معه فالتكرار الزمني الحاصل يولد أموراً جديدة في شكل قريب ومتشابه من لحظات الزمن المنتظم أي إنّها في كل مرة تولّد أَحداثاً جديدة مغايرة لأحداث زمنية مضت [٢٩]. وإنّه " يتمثل في التعبير عن أوقات الزمن اليومي المختلفة"[٣٠]. يختلف عن الزمنين السابقين فحركته المنتظمة " لا ينتابها تباطؤ أو تسارع"[٣١]. وسريانه طبيعي يشمل اليوم بأجزائه الليل والنهار، والشهر، والسنة، والعام، وحركة الكواكب والافلاك. فاليوم مثلاً الممتد خلال ٢٤ ساعة المتكون من ليل ونهار هو زمن يجري نظامه بخط مستقيم، وزمن الساعة الذي يسير عليه اليوم المتمثل بالليل والنهار هو زمن واحد يتكرر كل يوم من دون تكرار لأحداثه يخلق أحداثاً جديدة تختلف عما سبق.

ومن شواهد ذلك قول ابن الخطيب مشيراً إلى مشهد يتضمن معنى الزمن المنتظم قائلاً [٣٢]: (المتقارب)

سَألتُ عنْ الجُنْدِ الرجَالِ عمِيدَ الكِتابةِ مَا أفطنَهْ

فَقَالَ، وَقَدْ صُفُّفُوا يَوْمَ عَرضٍ بِيادقَ فِي سُفْرةِ السَّلطنةْ

حديثُ الشاعر عن عميد الكُتاب المدرك للأمور بالسؤال عن الجند مشيراً إلى الزمن المنتظم الذي كشفته جملة (صففوا، ويوم عرض) فالمعنى يشير إلى انتظام الجند في خط واحد متساو في يوم الاستعراض، ولنا أَنْ نستحضر في مخيلتنا هذا المشهد المنظم الذي يتطلب زمناً متتابعاً منتظماً بلا سرعة ولا تباطؤ

ومثله قوله مادحا السلطان أبا حمو [٣٣]: (الكامل)

لَا يسْتقِرُّ قَرارُ أفْكَاري إلى أنْ أستقرَّ لَدَى عُلاكَ جَلَيسا

وَأرَى تُجاهَكَ مُستقيمَ السَّيْر لِلْقَصْدِ الذِي أَعْملتُهُ مَعْكُوسَا

...

مُتتابعاً كَتتابُعِ الأيامِ لَا يَذرُ التَّعاقُبَ جمعةً وخَميسا

الزمن المنتظم واضح في أَبيات مدح السلطان، ففي البيت الأول يتحدث الشاعر عن نفسه فهو لا يسكن ولا يستقر له فكر إلى أنْ يحصل على شرف المجالسة في بلاط السلطان. في هذه الابيات الشاعر يربط بين زمن الأيام المتتابع المُنتظم الذي لا انقطاع فيها ولا تباطؤ ولا سرعة وبين رغبته في خدمة الممدوح على وفق نهج منتظم من الطاعة والإخلاص.

وجاء قوله في وصف حركة الليل شاهداً على الزمن المنتظم [٣٤] : (الكامل)

واللَّيلُ سِلكٌ، دُرُّه ساعاتُهُ إنْ حُلَّ مَعْقِدةُ هَوى المنْظَومُ

جسدت لفظتا (الليل وساعاته) في البيت دلالة الزمن المنتظم، الذي يسير به الليل فساعات الليل تسير بانتظام حتى بزوغْ الفجر.

وفي إحدى ابيات من موشحة لَهُ يقدّم لنا ابن الخطيب مشهداً زمنياً لأحداث متسلسلة إذ يقول [٣٥]:

فَيْ لَيَالٍ كَتَمتْ سِرَّ الهَوَى بِالدُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الغُرَرِ

مَالَ نَجْمُ الكَأسِ فِيْهَا وَهَوَى مُسْتَقَيْمَ السَّيْرِ سَعْدَ الأَثَرِ

وَطْرٌ مَا فِيْهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ مَرَّ كَلَمْحِ البَصَرِ

حِيْنَ لَذَّ الأُنسُ مَعَ حُلْوِ اللَّمى هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الحَرَسِ

غَارَتِ الشُّهْبُ بِنَا أوْ رُبَّمَا أَثَّرَتْ فِيهَا عُيُونُ النَّرْجِسِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

إشارة سريعة إلى ذكريات جميلة للشاعر مع محبوبه في موقف وصال مرت سريعة زمنها الليل البهيج بدأت بالوصال في زمن الليل وانتهت بظهور الفجر وبين البداية والنهاية سلسلة من الأحداث شهدها اللقاء أوجزتها الإشارات الزمنية التي يزخر بها هذا البيت من الموشحة وهي (ليال، الدجى، نجم، الصبح، الشمس).

الخاتمة:

خرجت الدراسة بجملة من النتائج يمكن تلخيصها بما يأتي:

ـــ نلحظ هناك إشارات سريعة لحركة الزمن وإبطائه وانتظامه في رصد دقيق يكشف عن أهمية الزمن عند الشاعر.

ـــ عبّرتْ سرعة الزمن عن تشبث الشاعر بالماضي السعيد.

ـــ دلّتْ الحركة البطيئة للزمن على إحساس الشاعر بالحزن الذي يمثله الحاضر.

ـــ كانت الحركة المنتظمة للزمن مؤشراً على حالة من الارتياح عاشها الشاعر عبر علاقته المستقرة مع المحبوب والممدوح.

ـــ وثّقتْ حركة الزمن على اختلافها سرعةً وبطأً وانتظاماً مواقف للشاعر في الحياة كانت أقرب إلى الصدق لأنّها مسّت حياة الشاعر بشكل مباشر.

الهوامش:

١- ينظر: لماذا يبدو الزمن وكأنه يمر بسرعة؟، فرح عصام،٢٠٢١/١/١٢، الجزيرة، www.aljazeera.net
وينظر: لماذا نشعر بأن الزمن يمر بسرعة كلما تقدم العمر؟،جيمس إم. برودواي، بريتني ساندوفال ، مجلة للعِلم، ١٢ أغسطس،٢٠١٦.www.scientficamerican.com/arabic
٢- هل الزمن موجود، إيتين كلاين، تر: د. فريد الزاهي: ٢٩.
٣- ينظر: مفهوم الزمن في القرآن الكريم، محمد بن موسى بابا عَمّي: ٢٨٤.
٤- المصدر نفسه: ٢٨٥.
٥- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني: ١٣٨/١.
٦- المصدر نفسه: ٣٤٦/١.
٧- المصدر نفسه: ٧٦٠/٢.
٨- المصدر نفسه: ٦٥٤/٢.
٩- المصدر نفسه: ٧٩٢/٢.
١٠- المصدر نفسه: ٧٩٠/٢.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ - المجلد ٤٨ - حزيران لسنة ٢٠٢٣

١١- المصدر نفسه: ٤١٦/١.

١٢- المصدر نفسه: ١١٤/١.

١٣- المصدر نفسه: ٤١٦/١.

١٤- المصدر نفسه: ١١٤/١.

١٥- ينظر: هل الزمن موجود: ٦٣.

١٦- ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ٦٣٨.

١٧- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني: ٣٢٣/١.

١٨-التناص في شعر لسان الدين بن الخطيب، علي مطشر نعيمه، مجلة أبحاث البصرة (الإنسانيات)، المجلد ٣٠، العدد (٢_أ)، ٢٠٠٦م: ١٥٣.

١٩- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني: ٣٢٧/١.

٢٠- المصدر نفسه: ٧٣٥/٢.

٢١- المصدر نفسه: ١٢٧/١.

٢٢- المصدر نفسه: ٣٤١/١

٢٣- ينظر: جدلية الزمن: ١١٥.

٢٤- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني:٧٩٠/٢.

٢٥- البحث عن الذات في الشعر الجاهلي، رباح علي، أطروحة دكتوراه، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٣م: ١٣٥.

٢٦- ينظر: الزمن في الشعر الجاهلي:٢١٠.

٢٧- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني:٥٠٦/٢

٢٨- هل الزمن موجود:٥٦.

٢٩- ينظر: المصدر نفسه :٥٨.

٣٠- الزمن الفيزيائي ــ الزمن النسبي ــ الزمن البيلوجي، أ. د عصام محمد محفوظ.
linkedin.com/in/essam-mahfouz-89ba37b.

٣١- مفهوم الزمان بين برغستون واينشتاين، سعيدي عبد الفتاح، رسالة ماجستير، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٧م: ٣٢.

٣٢- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني: ٦١٤/٢.

٣٣- المصدر نفسه: ٧٢٨/٢.

٣٤- المصدر نفسه: ٥٦٦/٢.

٣٥-المصدر نفسه: ٧٩٢/٢.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر والمراجع:

ـــ جدلية الزمن غاستون باشلار، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان، ط٣، ١٩٩٢م.

ـــ ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، تحقيق: د. محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ـــ المغرب، ط١، ١٩٨٩م.

ـــ الزمن في الشعر الجاهلي، د. عبد العزيز محمد شحادة، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد ـــ الأردن، د. ط، ١٩٩٥م.

ـــ المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، ج ١، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت ـــ لبنان، د. ط، ١٩٨٢م.

ـــ مفهوم الزمن في القرآن الكريم، محمد بن موسى بابا عمي، دار وحي القلم، دمشق ـــ سورية ط١، ٢٠٠٨ م.

ـــ هل الزمن موجود؟، إتيين كلاين، ترجمة: د. فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ط١ ،٢٠١٢م.

ثانياً/ الرسائل والأطاريح الجامعية:

ـــ البحث عن الذات في الشعر الجاهلي، رباح علي، أطروحة دكتوراه، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٣م.

ـــ مفهوم الزمان بين برغستون واينشتاين، سعيدي عبد الفتاح، رسالة ماجستير، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،٢٠٠٧م.

ثالثاً/ الدوريات:

ـــ التناص في شعر لسان الدين بن الخطيب، علي مطشر نعيمه، مجلة أبحاث البصرة (الإنسانيات)، المجلد ٣٠، العدد (٢_ أ)، ٢٠٠٦م.

رابعاً/ شبكة المعلومات الدولية:

ـــ لماذا يبدو الزمن وكأنه يمر بسرعة؟، فرح عصام،٢٠٢١/١/١٢، الجزيرة،www.aljazeera.net

ـــ لماذا نشعر بأنّ الزمن يمر بسرعة كلما تقدم العمر؟، جيمس إم. برودواي، بريتني ساندوفال، مجلة للعِلم، ١٢أغسطس ٢٠١٦.www.scientficamerican.com/arabic

ـــ الزمن الفيزيائي ـــ الزمن النسبي ـــ الزمن البيلوجي، أ. د عصام محمد محفوظ. linkedin.com/in/essam-mahfouz-89ba37b.